المجلة العربية، جامعة داكا

العدد الخاص بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس جامعة داكا، يونيو ٢٠٢٢ م

دوافع حرب الاستقلال لبنغلاديش ونتائجها بعد مرور خمسين سنة

الدكتور عبد الله المعروف محمد شاه عالم*

Abstract

The Impetus of Bangladesh Liberation War: an Analytical Study on its Results after 50 years

Bangladesh is a sovereign and independent country since 16 December 1971. The people of Bangladesh were persisting with the supreme sacrifice in the liberation war. Millions of people were victims of genocide. The declaration of independence was made by Father of the Nation Bangabandhu Sheikh Mujibur Rahman on 26 March 1971, who was at that time actually the Prime Minister-elect. But the conspiracy of political and military leaders of West Pakistan compelled him to this end. Nevertheless, struggle of People of East-Bengal or East-Pakistan was constant effort over the decades for an independent motherland where mother tongue will be safe and this nation could be flourished. This fertile green riverine country had all the potentials to be a developed country. But always a conspiracy of high ambitious hypocrites set obstacles to our expected development. But by the grace of Almighty Allah we are now discerning dreams come true. At the head of 50 years of independence we are to evaluate our sacrifices and to realize the extent of our achievements. This view-point is displayed through this article. It will show us the path yet to run forward.

لله الحمد وهو كما أثنى على نفسه والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين– أمّا بعد،

فإن وطننا بنغلاديش الآن كيان الافتخار عبر العالم. ونحن نعيش بالحرية والاحترام بدون تسلُّط عنصر خارجي على مواطني هذا البلد العظيم. فالتاريخ خير شاهد لما جرَّب البنغاليون في عهد الهند ثم الباكستان من الظلم والاضطهاد والتمييز العنصري والدسِّ والوقيعة فيما بين المواطنين في باكستان الشرقية وبين المواطنين في باكستان الغربية. فإن بعد استقلال الهند من براثن المستعمرين البريطانيين قامت دولتان باكستان والهند. وكانت الإسهامات الكبرى للبنغاليين في الاستقلال. مع ذلك، ذاق الزعماء للحركة من باكستان الشرقية مرارة غير متوقعه من حكام باكستان الجديدة.

* أستاذ، قسم العربية، جامعة داكا
drabdullahalmaruf@yahoo.com

وهذا كان باعثاً للأسف الشديد. وفي نفس الوقت أنشأ حكام باكستان وبالخصوص حاكم باكستان الشرقية جوًّا سياسياً ليدفع البنغاليين إلى الاحتجاج ضد النظام الجديد.

يقول بنغوبندهو شيخ مجيب في سيرته الذاتية:

> وعلى كل حال، لقد كانت البلاد تئن تحت وطأة الفساد والقمع والطغيان، وبدلا من أن تركّز الحكومة (حكومة باكستان بعد الاستقلال من البريطانية) جهودها على برامج التطوير المعقولة كانت تسخِّر طاقاتها لسياسات التآمر، وبدأ من هم في السلطة ينغمسون في البيروقراطية والسياسات القائمة على الدسائس والمؤامرات. وبنوا الآمال الكبار مستفيدين من قبضة السيد خواجه نظيم الدين الرخوة على الإدارة. (شيخ مجيب الرحمن ٢٠١٦، ٣٢٠-٣٢١)

وكانت تلك هى نقطة البداية لحركة الاستقلال من جديد. وعلى رأس ٢٤ سنة طلعت شمس جديدة للاستقلال في أفق بنغلاديش. فهذا أول مرة جاء حكم البلد على أيدي أبناء البلد في تاريخه الطويل. وبعد ذلك مضت خمسة عقود من الزمن ونرى صورة جميلة لنبغلاديش سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيا وما إلى ذلك.

وإننا في صدد البحث عن دوافع حرب الاستقلال هل كانت هى مما لابد منها وما هى حصيلة هذه التضحية الكبرى. هل صارت مصيرة البلد وأهله أحسن مما كانت؟ وما هى مكانة جمهورية بنغلاديش الشعبية في منابر العالم الحاضر شرقا وغربا؟

هناك دوافع كثيرة تجمعت في مضيق واحد وهى كانت نقطة الانطلاق للحركة الدامية في نهاية المطاف. وإليكم أقوى الدوافع وليس الحصر:

الدافع الأول: حرمان باكستان الشرقية بعد انفصال الهند في عام ١٩٤٧م والمؤامرة ضد البنغاليين:

بعد تمحيص وتلخيص الدوافع نجد السبب الأول هو حرمان البنعاليين من فائدة الإستقلال. يقول قائد نضال الحرية شيخ مجيب الرحمن في "سيرة ذاتية لم تكتمل:

> وما أن أقيمت دولة باكستان حتى انتشرت المؤامرة السياسية. وبالتحديد، فقد جرى طبخ مؤامرة ضد السيد سهراوردي في دلهي، لأن ما سنحصل عليه في شرق البنغال كحصة لنا كان أكثر مما سيحصل عليه أهالي البنجاب والسند والإقليم الحدودي وبلوشيستان؛ وفي المحصلة النهائية، فإن مجمل عدد السكان عندنا كان أكبر من نظيره عندهم. ولقد أزعج السيد سوهراوردي الكثيرين بما تتمتع به من شخصية فطنة سياسية غير عادية وحكمة وكفاءة. (شيخ مجيب الرحمن ٢٠١٦، ١١٤)
>
> كان الناس العاديون والموطنون الحكوميون يعملون ليلا ونهارا للدولة الجديدة.... غير أن كل شيء عاد تدريجيا ليتوحل مرة أخرى إلى الأسوء نتيجةً لسياسات الحكومة. ويبدو أن الحكومة تفتقر للأسلوب الذى تستطيع من خلاله تقنين طاقة بلد كان قد برز لتوه من حالة الجمود والكسل وتحويلها إلى فعَّاليات لبناء الدولة. آلاف العمال بدأوا يهيمون على وجوههم على غير هدى... غير أنه لم تكن هناك خطة أو إرشاد لتوجيههم ... وهناك براهين كثيرة عن الطريقة التى كان هؤلاء البيروقراطيون يستخدمون لاضطهاد وقمع العمال الذين لايعرفون الأنانية.. والذين جاهدوا للحصول على الاستقلال. (شيخ مجيب الرحمن ٢٠١٦، ١٣٣-١٣٤)

وفي ناحية أخرى كان رئاسة الحكم في باكستان الشرقية على يد خواجه نظيم الدين بدلا من سهراوردى وإن نظيم الدين كان ناطقا بالأردو لا علاقة له بالعوام. وكانت الباكستان الغربية تسلط على الباكستان الشرقية. وبالتالي أصبح شيخ مجيب الرحمن ومن معه أعداء في نظر الحكومة. ولذلك لم تنقسم رابطة المسلمين في الباكستان الغربية وفي نفس الوقت انقسمت الرابطة في باكستان الشرقية إلى قسمين– وهذا كان من نتيجة المؤامرة.

أما حرمان البنغاليين فهو بدأ يكبر كل يوم. وسوف نتكلم عن تفاصيله في مكانه.

الدافع الثاني: حركة اللغة:

بعد الاستقلال من الاستعمار واجه أهل باكستان الشرقية ضربة قاسية في ثقافتهم من الحاكم العام محمد على جَنَاحْ[١] عندما أعلن في كلمة ألقاها في جامعة داكا بأن الأردو ستكون هى اللغة الرسيمة الوحيدة لباكستان– ومن أوساط المشاهدين تردد صوت "لا" "لا" لانقبل هذا– أدرك البنغاليون بأن حكام الدولة الجديدة ليسوا أصدقاءهم بل أنهم بدأوا التضايق على البنغاليين مع كونهم الأغلبية حسب عدد المتكلمين. وقال د. شهيد الله في هذه القضية: "إن اللغة الأردو ليست لغة مألوفة كلغة الأم في أى إقليم من أقاليم باكستان. لو تركت الإنجليزية كلغة خارجية فلا دليل لعدم القبول البنغلا كلغة رسمية للباكستان". (سركار ٢٠٢١، ٣٦١/١)

وقد كانت المؤامرة من بداية ١٩٤٨م. كتب شيخ مجيب الرحمن في "السيرة الذاتية": ربما حدث ذلك في ٨ فبراير ١٩٤٨م حين اجتمعت الجمعية التأسيسية الباكستانية في كراتشي.

قال شيخ مجيب أيضا:

> ربما حدث ذلك في ٨ فبراير ١٩٤٨م حين اجتمعت الجمعية التأسيسية الباكستانية في كراتشي. وكان من بين الموضوعات التي نوقشت موضوع لغة باكستان. فقد أراد معظم قادة رابطة المسلمين أن تكون الأوردو لغة الدولة، وكان معظم أعضاء رابطة المسلمين في باكستان الشرقية من نفس وجهة النظر هذه. غير أن بابو ديراندرو نات دوتّو، عضو حزب المؤتمر عن كوملاّ، طالب باختيار اللغة البنغالية كلغة الدولة حيث أن غالبية السكان في الباكستان يتكلمون بهذه اللغة. لكن قادة رابطة المسلمين لم يقبلوا هذا الطلب. وأصبح واضحاً في وقت لاحق أن هناك مؤامرة لجعل الأوردو وليست البنغالية لغة الدولة. وقد احتجت رابطة الطلاب المسلمين في باكستان الشرقية على هذه الخطوة كما احتج عليها "مجلس تمدّن" وطالب بأن تكون البنغالية والأوردو كلتاهما لغة البلاد. (شيخ مجيب الرحمن ٢٠١٦، ١٣٥–١٣٦)

---

[١]. محمد على جَنَاح: اشتهر اسمه كجِنَّاح (محمد على جناه) في اللغة البنغالية، وفي الحقيقة أنه كان من فرقة الشيعة– والعرب يتلفظه "جَنَاح"

لقد كانت البنغالية اللغة الأم لحوالى ٥٦٪ من الشعب الباكستاني، ويجب أن تكون بالتالي اللغة الرسمية الوحيدة للبلاد. ومع ذلك، كنا نريد أن تكون كلتا اللغتين البنغالية والأردو لغتين رسميتين للدولة. فالبنجابيون كانو يتكلمون اللغة البنجابية، والسنديون يتكلمون اللغة السندية، وأولئك الذين في الإقليم الحدودي يتكلمون لغة البشتو والبلوش يتكلمون اللغة البلوشية. ولم تكن الأوردو لغة يتكلمها أي إقليم محدد في باكستان، ولكن إذا كان إخواننا في باكستان الغربية يريدون هذه اللغة أن تكون لغة رسمية للدولة ما الذي يجعلنا نعارض رغبتهم؟ غير أن هناك حجة وحيدة فقط يستخدمها أولئك الذين يريدون أن تكون الأوردو اللغة الرسمية الوحيدة لدعم موقف: إن هذه اللغة، كما قالوا، "لغة إسلامية". لكننا غير قادرين أن نتصور كيف تحولت لغة الأوردو إلى لغة إسلامية."(شيخ مجيب الرحمن ٢٠١٦، ١٤٤–١٤٥)

وكان السيد نظيم الدين قد جاء إلى البنغال الشرقية بعد أن أصبح رئيس الوزراء بوقت قليل، ولم يكن قد صدر عنه كلام كثير بعد زيارته الأولى للإقليم. غير أنه لاحقاً، ربما في نهاية عام ١٩٥١م أو في يناير ١٩٥٢م، ألقى خطاباً في ميدان بولتون أعلن فيه "إن الأوردو ستكون اللغة الرسمية الوحيدة في باكستان". وبهذا يكون قد حنث بالعهد الذي قطعه على نفسه في عام ١٩٤٨م عندما كان رئيسا للوزراء في باكستان الشرقية. فلقد سبق له أن تعهد، في اتفاق خطي مع لجنة مناضلي اللغة، بأن تكون البنغالية هي اللغة الرسمية للإقليم. ثم قدم في وقت لاحق من ذلك العام مذكرة إلى الجمعية التشريعية للإقليم بهذا الخصوص. كما وافق رسميا أيضا أن يطلب من الحكومة المركزية في الجمعية الوطنية أن تجعل البنغالية هي الأخري اللغة الرسمية لدولة باكتسان. وقد تبنت جمعية إقليمية للبنغال الشرقية هذا القرار بالإجماع. ففي داكا قدم هذه التعهدات وفي داكا تنازل عنها! وكان لهذا التصريح صدى مسموعاً في كافة أرجاء البلاد. فاحتج حزب المعارضة الوحيد في ذلك الوقت بمكوناته الثلاثة رابطة عوامي لباكستان الشرقية، جناحها الطلابي المتمثل برابطة الطلاب، وجناحها الشبابى برابطة الشباب بأعلى صوتهم ضد هذا القرار." (شيخ مجيب الرحمن ٢٠١٦، ٢٥٣–٢٥٤)

وهكذا جاء ٢١ فبراير ١٩٥٢م "تعززت الحركة للُّغة إلى غاية أن طلاب كافة الكليات في الباكستان الشرقية يترددون نعرات التى تعلو في أفواه الطلاب في شوارع داكا. فقامت الحكومة بكل وسع لها لأخماد هذه النيران ولكن فشلت. بالأخير فرضت الحكومة حظر التجول وفق مادة ١٤٤ في داكا. وكانت شيخ مجيب ومن معه في السجن بدأوا الإضراب عن الطعام وكانت صحته سيئه جدا. مع ذلك إنه أبدأ برأى لخرق المادة ١٤٤. فكانت هناك مسيرات الطلاب بنعرات: مثلا نريد لغة الدولة: اللغة البنغالية. يجب اطلاق سراح كافة السجناء السياسيين و"**نريد اطلاق سراح شيخ مجيب**". (شيخ مجيب الرحمن، ٢٠١٦. ٢٦١) وبالمناسبة يجدر بنا للذكر أن الحركة الطلابية زمامها كان بأيدى طلاب جامعة داكا. وكانت نقطة التجمُّعُ والمقرر هو 'مدهور كانتين'(كافتيريا مدهو) "وإن هذه الكافتيريا ما كانت جزء التاريخ لجامعة داكا وسياسة الطلاب فقط بل إنها جزء من تاريخ قومنا". (محمود الرحمن ٢٠١٩، ١٩٥)

وبالأخير جاء ٢١ فبراير ١٩٥٢م.

قام الطلاب بمظاهرة ومعارضة بل احتجاج شديد ضد قرار اللغة الجديد، فالتدفق كان مثل الفيضان الجارف فلم يبالوا إلى قرار ١٤٤ لحظر التجول واشتباكوا مع رجال الأمن عند شارع بلاشي والشرطة اطلقت الرصّاص مستهدفين إلى صدور المحتجين فلقى ستة من الطلاب مصارعهم وكان عدد الجرحى لايعد ولايحصى. استشهد هناك طلاب: بركة الله، رفيق الإسلام، وشفيق الرحمن وعبد الجبار وغيرهم. فالشارع العام تلوّن بلون الدماء.

في نفس اليوم قام مولانا عبد الرشيد تركوباغيش في البرلمان وقال عندما جعلوا ستة من فلذات قلوبنا وقواد الدولة المستقبلين في مضجع الدماء فلا يمكن لنا ان نتفرج بهواء المروحة والله لا أتحمّل هذا وخرج حالا. (سركار ٢٠٢١، ١/١٧٥)

فكانت لهذه الحادثة أثر بعيد المدى. لأن شيخ مجيب الرحمن وأعوانه كانوا وراء هذا النضال. فانه قاد الحركة وهو داخل السجن. فهذه الواقعة البشعة أنشأت ضجة كبيرة في كل من تكلم باللغة البنغالية. وفي ٢٢ فبراير أقيمت جنازة غيبية لشهداء اللغة أمام نزل كلية الطبّ فشارك فيها "مئات الألوف من الناس– وهى كانت أكبر التجمع في داكا." (سركار ٢٠٢١، ١/١٧٥)

وكان للشعراء دور بارز لتقييم هذه الحادثة العظيمة فانهم أنشدوا أشعارا ومنها ما يردِّدونها البنغاليون حتى الآن: "٢١ فبراير ملون بدماء أخي، كيف أنسى ذلك" أو "جئت هنا بدعوى الشنق لقتلة أخى، لم آت لأبكى". وإن الصحف والجرائد المحلية غطّت هذا المشهد تغطية واسعة ومستديمة.

ولذلك تعتبر هذه التضحية نقطة الانطلاق بدعوة الاستقلال والخلاص عن الحاكم الظالم من أرض الوطن.

والجدير بالذكر، أن هذا التاريخ (٢١ فبراير) أعلن كيوم لغة الأم العالمي من UNESCO (منظمة التعليم والعلوم والثقافة للأمم المتحدة) في عام ١٩٩٩م. فالآن ٢١ فبراير يحتفله جميع العالم. فقد سجل البنغاليون في جبين التاريخ بأن هذا القوم منحوا دمائهم لأجل اللغة. وأننا فخورون لهذا. غير أن استشهاد أبناء الوطن لأجل اللغة كانت هى الدافعة الأولى إلى استقلال بنغلاديش– لاشك فيه. (فضل الحق ٢٠١٩، ٨–٩) نعم، بعض المؤرخين جعلوا هذه الدافعة هو الأولى.

الدافع الثالث: فوز الجبهة المتحدة في انتخاب ١٩٥٤م:

أيام حركة الاستقلال ضد الاستعمار البريطانى كان الزعماء تحت مظلة واحدة وهي "رابطة المسلمين" ولكن بعد ذلك دعت الحاجة لافتراق الجبهات ليستمر كل واحد عن منصه في نيل الهدف النهائى وهو الحكم الذاتى أو الاستقلال بتاتا. وبعد قطع شوط كبير انتهز هؤلاء فرصة المشاركة في الانتخاب الإقلمي عندما أعلن ذلك من قبل الحكومة في عام ١٩٥٤م. فتكوَّن الجبهة المتحدة لمشاركة النجوم الثلاث فضل الحق، مولانا عبد الحميد خان بهاشانى وحسين شهيد سوهراوردى. فكان الزعماء الثلاث معروفين لدى الجميع وكانت خطباتهم موجبة الإعجاب لدى الشعب كما كانوا ذوى تجربة

حكيمة في حقل السياسة. وكانت نتيجة الانتخاب جيدة للغاية. فالجبهة المتحدة فازت في الانتخاب الأقليمى بأغلبية ساحقة و رابطة المسلمين تخيبت بالأمل. انتخب فيه شيخ مجيب عضوا لبرلمان وهو ابن ٣٤ سنة وبالتالى أصبح عضوا للبرلمان الوطني في عام ١٩٥٦م. وعُين وزيرا لحكومة الجبهة المتحدة. (سركار ٢٠٢١، ٢٣٦/١) غير أنه ترك الوزارة ليشغل في تعزيز أساس الحزب وقبل منصب الأمين العام للحزب.

الدافع الساحق: إعلان الدفعات الست التاريخية والحركة ضد النظام الباكستانى:

فى عام ١٩٥٨م حصل الانقلاب العسكرى على قيادة المشير أيوب خان. ومن هنا بدأ الاستبداد ببراثن الحكم العسكري. و وقع الضرب الأول على السياسيين الشعبيين مثل حسين شهيد سهراوردى وشيخ مجيب الرحمن ومن معهما.

ومن خلال هذا الحكم المستبد قام أيوب خان الحاكم العسكرى بإدراج ديمقراطية جديدة سماها الديمقراطية الأساسية وكانت هى الأخرى من استهزاء مع الشعب وكانت الخطوة ليكون رئيسا منتخبا في عام ١٩٦٤م وبالتالى أعلن بإلغاء الحكم العسكري.

ولا يفوت بنا أن نذكر هنا دافعا جليا لحرب الاستقلال وهو ما قام المشير أيوب خان في عام ١٩٦٢ لتشكيل سياسة جديدة للتعليم والأشغال وجعلها جزءا من الدستور. وكان من الطبع أن يواجه مخالفة البنغاليين. وعلى الصف الأول كان الطلاب والطالبات من جميع انحاء باكستان الشرقية وقاموا باحتجاج شديد ضد هذه السياسة للتعليم –تدهورت الأوضاع سريعا في داكا حتى زحزح كرسى أيوب خان. فلجأ إلى حيلة بإدخال الجنود المجاهدين داخل الكشمير، مما أدى إلى حرب دامية. وذلك كان فى عام ١٩٦٥م. ولما وصلت الباكستان في وشك الانهزام القاسي لجأ أيوب خان إلى حيلة لإخماد هذه النيران فتوسط لوقف الحرب رئيس الوزراء لأوزبيكستان "الكسى كوسيغين" وبالفعل هو قام بالتوسط في العاصمة تاشخند و وقع الطرفان– الهند والباكستان على الهدنة "ودامت هذه الحرب... من ٠٦ سبتمبر ١٩٦٥م إلى ٢٠ سبتمبر ١٩٦٥م. وفي خلال هذه الفترة القصيرة كانت باكستان في وشك الانهزام، كما قلنا. وتبين أن باكستان الشرقية غير محفوظة دفاعيا". (سركار، ٢٠٢١. ٣١٧/١) ثم فجَّر شيخ مجيب الرحمن قنبلة النقاط الست في ١٩٦٦م في لاهور في جلسة للمعارضة المشتركة. (حسن ١٩٨٢، ٢٥٩/٢–٢٦٩)

وهذه الدعوى أصلا كانت لبنة الاستقلال لباكستان الشرقية. ولو كانت في ملابسة الحكم الذاتى المحدود. إلا أن الساسيين شرقا وغربا عرفوا حق المعرفة ماذا كان الاستهداف وراء هذه البنود الست. مالبث أن تلقت هذه النقاط القبول العام في الباكستان الشرقية وبالعكس كانت هذه "الدفعات الست" شوكة في بلعوم الباكستانيين بالغرب.

(١) الدفعات الست أو البنود الست: هذه النقاط الست مشهورة ب "٦ دفعة" حيث كلمة "دفعة" مستخدمة في اللغة البنغالية بمعنى "البند أو النقطة".

البند الأول: يجب أن تكون باكستان دولة إئتلافية أو الولايات المتحدة وفق إقتراح لاهور. ويحق التصويت على مستوى العوام مباشرة ومجلس القانون (البرلمان) المنتخب يحتفظ الحق بالترجيحية وتكون الحكومة على منهج البرلمان.

البند الثاني: وتسلَّم السلطات في جميع القضايا على يد الدولة العضو أو الأقليم إلا العلاقات الخارجية و وزارة الدفاع. وهاتان السلطتان تكونان على يد الحكومة المركزية مثل الولايات المتحدة.

البند الثالث: يجب ترويج نظام العملات في منطقتين للباكستان عليحده ولكن بحق التبادل الحر. أو تكون نظام واحد للعملات على شرط أن الرأسمال لاتهرَّب من باكستان الشرقية إلى باكستان الغربية ويتخذ عملية فعَّالة في هذا الصدد. وهذا يتم عن طريق بنك فدرالى.

البند الرابع: ويحق للدولة الموالية أو الإقليم فرض الضرائب. والحكومة المركزية تستحق جزءا منها لتتمكن من سد التكلفة.

البند الخامس: يحفظ الحساب المستقل لمنطقتى باكستان لدخل العملات الأجنبية مستقلا. ويكون هذا الدخل تحت رقابة الإقليم المعنى.

وهكذا حكومة ذاك الإقليم يحق له البعث بوفود تجارية إلى الخارج مع الموافقة بالسياسة الخارجية للحكومة المركزية. ويحق لهذا الوفد التوقيع على أية اتفاقية.

البند السادس: ولتأكيد الأمن الذاتى يحق للأقاليم المعنية تجنيد وتشكيل شبه الميليشيات أو شبة العسكرية. (حسن ١٩٨٢، ١٧/٢)

قال بنغوبندهو شيخ مجيب في خطابٍ فى حفلة فابنا (٧ إبريل): "هذه الدفعات الست (البنود الستة) ليست أمرا كمساومة بحتًا بل يتعلق بها سؤال الحياة والموت لخمسة وخمسين ميلون نسمة في باكستان الشرقية". (*The Daily Ittefaq, April 09, 1966*)

قام حكومة أيوب خان بالاضطهاد على السياسيين المتحمسين بالدفعات الست (النقاط الست). فظلموا عليهم بالسجن وإطلاق النار على مسيراتهم وقد استشهد في سبيله عديد من الزعماء ولكن قدر الله أن يبقى شيخ مجيب الرحمن سالما. ولكن دبر الحكام أن يسجن شيخ مجيب وقواد الطلاب ومن كانوا مشجّعين لتحقيق النقاط الست (٦ دفعات). أدركت حكومة أيوب خان أن الدفعات الست كشف عن التمييز بين الباكستان الشرقية و بين الغربية. لأن شيخ مجيب كان يقول في خطباته من عام ١٩٤٨م قامت الحكومة بصرف ١٤٠٠ كرور (١٤ بليون) روبية في باكستان الغربية وفي نفس الوقت صرف لباكستان الشرقية ٥٤٠ كرور (٥٤٠٠ مليون) روبية ولو أن الباكستان الشرقية كسبت ٦٠٪ من الثروة الوطنية..."(رشيد، ٢٠١٩. ٤٦) فإن السلطة الأيوبية قامت بتشكيل محكمة خاصة لمحاكمة ٣٥ شخصا ومنهم شيخ مجيب الرحمن بدعوى أنهم شاركوا في مؤامرة أغور تولا "(اقليم من الهند)". وذلك

في ٢١ إبريل عام ١٩٦٨م وفي نفس الوقت تقدم الطلاب بـ "١١دفعات" أي أحد عشر مطالبة التي كانت مغزى ما تحوى الدفعات الست نفسها. وفي هذا الوقت الحساس بتاريخ ١٥ فبراير ١٩٦٩م. دبَّرت الحكومة مؤامرةً خطيرة للقضاء على المتهمين في قضية أغورتولا. فاطلق الشرطة الرصاص عليهم ولقى رقيب ظهور الحق مصرعه وجرح كثير منهم. ففي هذه الحالة خوفا للانتفاضة العامة أطلقت الحكومة سراح شيخ مجيب ليشارك في روال بيندى– عاصمة باكستان جلسة بالطاولة المدورة. خرج شيخ مجيب من السجن. وفى هذه المناسبة تجمع حشد حاشد في ميدان "ريسكورس". وشارك في هذه الحفلة مئات الألوف من الناس لتعبير ترحيبهم لشيخ مجيب. وفي ٢٣ فبراير تقدم الطلاب فالجمهور يفرض لقب "بنغوبندهو" على شيخ مجيب الرحمن. ومن ذاك اليوم هو "بنغوبندهو" أى حبيب البنغال.

ففشلت الجلسة في روالبيندى وتطورت الظروف قاسية وصعبة جدًا. فما كان إلا أن تقدم الأيوب إلى الاستعفاء من المنصب وفرض الحكم العسكرى على جميع الباكستان في ٢٥ مارس عام ١٩٦٩م وتبادل الحكم من أيوب إلى جنرال يحيى خان. بعد أن تسلط على الحكم أعلن يحيى خان بأنه سيعقد الانتخاب بتاريخ ٢٨ ديسمبر ١٩٧٠م. نعم، انعقد الانتخاب في الوقت المحدد. وكانت النتيجة ممتازة ولو لم يتوقع يحى خان ذلك أبدا. ففى الانتخاب حصل شيخ مجيب على ١٦٧ مقعد للبرلمان من بين ١٦٩ مقعد من باكستان الشرقية ومجموع المقاعد في البرلمان الوطني ٣١٣ وهذا يعني أن رابطة عوامي حصل على الأغلبية. وهذا الفوز الساحق أعطى بنغوبندهو شيخ مجيب الرحمن حقا قانونيا واضحا ليتكلم في صالح البنغاليين. فإن الجمهور أبدءوا برأئهم لموافقة الدفعات الست. وبالتالي قد جاء الوقت ليعيد تأليف دستور جديد ولكن ذو الفقار على بهوتو الذى هو الآخر قائد باكستانى فاز بأغلبية التصويت في الباكستان الغربية لم يقبل أن يكون بنغاليا رئيس الوزراء لباكستان. ولو أن الأغلبية على عامة الباكستان حصلت لعوامي ليغ يعنى شيخ مجيب الرحمن.

والقوات العسكرية وقوادها كانوا اكثرهم من الباكستان الغربية، فهم لم يرضوا أن يكون بنغاليا يجلس على كرسي رئيس الوزراء. وخلال هذه الأيام الحساسة لجأ يحيى خان إلى مكيدة والمماطلة ليكسب وقتا للضرب القاسي المفاجئ على البنغاليين.

أدرك بنغوبندهو شيخ مجيب بأن الحكام الظالمين لا ينفذون نتيجة الانتخاب ولو أنهم هم الذين نظّموا هذا الانتخاب. وكان زمام الإدارة بأيديهم. طلب بنغوبندهو حينئذ تجمعا كبيرا في ميدان "ريسكورس" وقد شارك فيها أكثر الناس في التاريخ و الجمهور كانوا بأمس الحاجة إلى توجيه في الصعيد الجديد وبالفعل قام شيخ مجيب الرحمن بإلقاء كلمته التاريخية بجذالة الصوت وببلاغة اللغة وبتأثير حماس كبير سرد فيها تاريخ الحرمان للبنغاليين وشتى المظالم من جانب الباكستان الغربية وحكامها. أخيرا قال فيها: "نضالنا لهذه المرة نضال الحرية لنا ونضال هذه المرة نضال الاستقلال".

ويجدر بالذكر أن هذه الخطبة اعترفتها UNESCO كخطبة تاريخيه و وثيقةً وتراثًا للبشرية.

وفي الحقيقة كانت توجيهات واضحة في تلك الخطبة تجاه البنغاليين ماذا سوف يحدث وماذا من إمكانهم أن يفعلوا وكيف يواجهوا إذا أصيبوا بالأعمال العنيفة من جانب هؤلاء الظالمين. حتى قال فيها: "إن لم أقدر أن آمركم فهذا ما أطلب منكم أيها الجماهير! لحريتكم وللحصول على الحكم والحكومة التى هى من حقنا". (من الخطبة التاريخية في ٧ مارس عام ١٩٧١م)

يقول المورِّخ هارون الرشيد:

"٢٣مارس ١٩٧١م الجبهة الطلابية *لعوامي ليغ* رفعت رايةً لبنغلاديش في جامعة داكا، وكانت هذه الجامعة منبع كل الحركات والدَّوامات السياسية، وهى الجامعة الوحيدة في تاريخ البشرية التى قادت حركة وحرب الاستقلال للبلد.

وجاء تلك الليلة السوداء في التاريخ ليلة ٢٥ مارس ١٩٧١م، شن الجيش الباكستانى هجوما قاسيا عشوائيا على البنغاليين الأبرياء. ورصاصاتهم كسَّروا صدور عامة الناس الأبرياء. وحاولوا قتل جميع أفراد الشرطة من البنغاليين بعد أن أخذوا أسلحتهم ودبَّروا لقتلهم. لا مبرِّر لهذه العملية الوحشية اللَّاإنسانية على الإخوان والأخوات من قوم واحد وبلد واحدٍ. ونشروا ادعاءً بأنَّهم عملوا هذا لوجه الحفاظ على الإسلام. وهذا لاشك من المضحك ومن المؤسف. فهذا إن دل على شئ فإنما يدل على جهالتهم في نفس الوقت.

فقد نشبت الحرب حمية الوطيس، فلا مجال تركوا لإعادة النظر بل أنهم أعلنوا "لو استطعتم استقلوا". (رشيد ٢٠١٩، ٣١٠–١١)

بعد الساعة ١٢ بليلة ٢٥ مارس يعد ٢٦ مارس وفي نفس الوقت أى في أول وهلة لتاريخ ٢٦ مارس ١٩٧١م أعلن بنغوبندهو إعلانا واضحاً للاستقلال. وقد اعتقل شيخ مجيب على يد الجيش الباكستاني في نفس الليلة واخذوه إلى باكستان الغربية كسجين.

فالمؤسِّس أعلن الاستقلال وبعث به عن طريق تيليغرام إلى أقاليم بنغلاديش. وإلى إم إي حنان في ستُّوغرام الذى قرأه في إذاعة شيتاغونغ ثم بلغ ذلك إلى يد ضابط قام بتاريخ ٢٧ مارس ببث ذلك الإعلان باسم شيخ مجيب الرحمن عبر راديو. وما لبث أن استولى أفراد الجيش البنغاليون أسلحتهم والشباب في كل أنحاء البلد. وهكذا بدأت حرب الاستقلال. (سركار ٢٠٢١، ٤٥٦/١)

فالدافع أولا كان حرمان بنغلاديش اقتصاديا. فإن الجوتة والجلود والشاي والبضائع الأخرى مثل الأوراق (كاغذ) والأرز كل هذه كانت باكستان تصدرها ولا يُصرف ماله لصالح البنغاليين. ومشاركتهم أيضا في الجيش كانت ضئيلة. وفي التوظيف قل ما يحصل على مناصب موظف من باكستان الشرقية. والبنية التحتية للبلد وتنميته وتطويره كان لباكستان الغربية كحظ الأسد. والباكستانيون كانوا ينظرون إلى البنغاليين نظرة الحسد والحقارة. والحقارة وكانت هذه الظاهرة في كل مرحلة من المجتمع. وعلى رأس كل هذه حرمانهم من سلطة الحكم حتى ولو فاز في الانتخاب بالأغلبية الساحقة. ولذلك قال بعض المؤرخين بأن الباكستانيين هم الذين دفعوا البنغاليين ليستقلوا من الباكستان الغربية.

وفي الحقيقة كانت الدوافع للاستقلال بأنواع مختلفة وألوان شتى لايسع المكان لتفصيلها هنا. وبكلمة واحدة كانت الدافعة هى الكفاح عن ظلم الحاكم المسلم وأعوانه على إخوانهم المسلمين من الجزء الشرقى للبلد.

أما الآن ففي هذه العجالة نسرد ماذا حصل البنغاليون بالحرية والاستقلال خلال خمسين سنة ماضية. وهذا سؤال مهمّ جدا. نسجل بالاختصار بعض النقاط مما توحى القراء عن حقائق فضائل الاستقلال تجاه البنغاليين في الحل والترحال. وإليكم مؤجزها:

سيادة البلد واستقلاله باعث لافتخار المواطنين وتنميتهم. فالاستقلال أولا الحرية من الذل والعبودية للآخرين. اسئلوا كل من تنفس ١٦ ديسمبر ١٩٧١م في بنغلاديش المستقلة واسألوا إحساسهم فإن البنغاليين لا يحكمهم من لا يرحمهم والذين كانوا دائما من جنس آخر من البشرية. وهذا أول مرة يحكمهم واحد من أنفسهم وهو بنغوبندهو شيخ مجيب الرحمن (رحمه الله تعالى).

وصل القائد المنتصر إلى وطنه الحبيب من السجن الباكستاني بعد استقلال البلد. تلقى الترحيب لانظير له. إلا أن بنغوبندهو تردد عن قلقه لإعادة التعمير لبنغلاديش بعد أن دمرت الحرب كل شئ. ولذلك قال لصحفى: "مشلكتى الآن قلة الغذاء وسوف نستورد وفي نفس الوقت نعزز برامجنا الزراعية. لأن أرضنا خصبة جدًا والمزارعون في نفسية عالية".(رشيد ٢٠١٩، ٣١٠-١١)

وبالفعل ركّز تخطيطه لإعادة تعمير البلاد وبناء الهيكل التحتي واعادة التوطين للبؤساء. ولذلك "كان في قائمة الأولوية له: "تعمير وترميم الميناء والشوارع والمصانع والجسور والمدارس والكليات وإعادة الأوضاع الملائمة للتعليم. والقطاع البنكى والمصرفي والتربية والتعليم وتنظيم الأسرة وإزالة الفقر وتخفيف التمييز بين الناس في الدخل والكسب".(المؤمن ٢٠٢٠، ٥٥)

يقول عبد المؤمن:

> لاتقدر إحصائيات أحوال بلد بعد الحرب بأرقام الحساب الدقيق أو الأصول الثابتة. فإن الخطوات التى اتخذها بنغوبندهو في الاقتصاد المدمَّر كانت منشئةً لعصر جديد وهى تخلد في أوراق التاريخ كبرامج واقعية جليلة. وقد اتخذ كثير من القرارات بشعوره الواقعية التي كانت عجب العجاب. وكل ذلك كان مساندا كبيرًا لوضع الاقتصاد للبلد الجديد على أساس متين.(المؤمن ٢٠٢٠، ٥٧)

ففي خلال فترة وجيزة لحكومة بنغوبندهو (١٩٧٢-١٩٧٥م) قام بإعادة التوطين وترميم البلد المدمر بالحرب وتوفير الغذاء بتعزيز البرامج الزراعية وبالاستيراد الطارئ وتشكيل المجالس واللِّجان وتأسيس الإدارات الجديدة المناسبة لبلد مستقل وما إلى ذلك في هذا الصدد.

وفي ترسيخ العلاقات بالبلاد الخارجية اتخذ بنغوبندهو سياسة ممتازة. وكانت الأولوية للحصول على الاعتراف للبلد الجديد. خصوصا من الصين وحليفتها باكستان. وهكذا دول الخليج مثل المملكة العربية

السعودية لم تعترف بنغلاديش إلى ذاك الوقت. ففى قضية الحصول على العضوية في الأمم المتحدة كانت تتعلق برضا الصين الذي بيده حق "فيتو".

> شارك بنغوبندهو في قمة OIC التى انعقدت في باكستان ولو أن الاحتكاك الدائم جاريا معها، ولو أن البلد الجار أحس تضايقا بهذه المشاركة غير أن باكستان أصبحت منبسطة واعترفت بنغلاديش. وبعد ذلك حصلنا على اعتراف الصين ولم تفرض الصين حق الفيتو ضد عضويتنا في الأمم المتحدة وأصبح بنغلاديش عضوا للأمم المتحدة.(المؤمن ٢٠٢٠، ٥٨)

وكان لمشاركة بنغوبندهو في ذلك المؤتمرالعالمي أبعادا جديدة. أولا رئيس الوزراء الباكستانى المستر ذو الفقار على بوتو استقبل شيخ مجيب الرحمن في المؤتمر كرئيس دولة عضو لـ "OIC " وثانيا، هذا إن دل على شيء فإنه يدل على بُعد النظر من بنغوبندهو لتوطيد الروابط مع الدول الإسلامية، فإن المؤتمر أعطى فرصة ذهبية للحوار مع زعماء العالم وشرح ما جرى في حرب الاستقلال وما يجرى حاليا في كيان جديد في الخريطة، الآن وهو بنغلاديش. وكانت باكستان قد اعترفت بنغلاديش في ٢٢ فبرائر ١٩٧٤م وذالك كان أول يوم. لذالك المؤتمر الذى استمر إلى ٢٤ فبرائر ١٩٧٤م. وبالمناسبة كان حوار مع الملك فيصل بن عبد العزير الذى سأل شيخ مجيب ماذا يسأل هو من الملك. فأجاب: ما أريد شيئا منكم إلا الإجازة لحجاج بنغلاديش لأداء المناسك. ثم سأل الملك لماذا لم يسمى هذا البلد الجديد جمهورية إسلامية؟ فأجاب شيخ مجيب بكل شجاعة وحكمة: دولتك لم تسمي بالإسلام فكيف تطلب منى ذالك. ثم أضاف قائلا: جمهور بنغلاديش شاركوا في حرب الإستقلال وضحوا أنفسهم في سبيل الإستقلال وكان هؤلاء من أديان شتى. غير أننا أعطينا الحرية الدينية في دستورنا.

فهذا اللقاء مهد الطريق لاعتراف بنغلاديش. وفي تلك الأيام دول الخليج كانت بأمس الحاجة إلى القوى البشرية. فكانت التعاون منا بأيدي عاملة ومنهم استقدام أفرادنا للتوظيف.

هذه الفترة كانت بداية تنمية دول الخليج. لأن سياسة البطرول جاءت في قبضتهم. وفي نفس الفترة اعترفت الدول العربية ببلدنا وبالتالى ازداد دخل البلد على حساب عملات أجنبية. وفي نفس الوقت كانت محاولة لا بأس بها لتنمية البلد في قطاعات مختلفة. وفي الحقيقة، هذه المحاولات لم تنجح حسب المرام لأن في الحكومة كانت عناصر ضد الإستقلال. وهذه المعنوية المتشاكسة كانت سببا لعدم الاستقرار.

وهكذا قام بنغوبندهو بأشياء أساسية للبلد خلال ثلاث سنوات ونصف. لو لم يكن هناك تراجيدى ١٥ أغسطس ١٩٧٥م لكان لبنغلاديش وجه آخر.

ولكن حلاوة الاستقلال يتذوق الآن كل بنغلاديشى فى شتى القطاعات – ولا يسع هنا أن نفصِّل ذلك إلا اننا نقدِّم بالاختصار مكانة بلدنا بعد مرور خمسين سنة للاستقلال.

في عام ١٩٩٦م جاء حذب 'عوامي ليغ' (رابطة العوام) على الحكومة بعد ١٩ سنة. فازت شيخ حسينة البنت الكبري لمؤسس الدولة شيخ مجيب الرحمن في الانتخاب العام. فكان على كتفها مسئولية توطيد الحذب وقيادة الحكومة. فاتخذت مشاريع للتنمية ولإزالة الفقر والبطالة مع تعزيز

التصدير وتقليل الإستيراد، خصوصا على الإكتفاء الذاتي في الغذاء والثروات الأخرى. وكانت قيادةً رشيدة. غير أن حكومتها لم تتمكن من إستمرارها في الدور التالى للإنتخاب فجاءت في الحكومة أرملة ضياء (خالدة) في ٢٠٠١م. وبعد خمس سنوات ذهبت السلطة على أيدي حكومة موقتة لإدارة انتخاب محادي. ولكن هذه الحكومة إستمرت سنتين كاملتين لحجة القمع على الفساد. وقد نحجت هذه الحكومة المؤقة بعض الشئ في تقليل الفساد وزحزحة بنيانه.

على كل حال جاءت شيخ حسينة على السلطة في عام ٢٠٠٨م مرة أخرى وتستمر حتى هذا اليوم. وهذه الفترة الموسّعة اعطت حكومتها فرصة لتقوم بأشياء منشئة الإعجاب في تنمية البلد.

و إذا ننظر إلى الوضع الحالى لبنغلاديش نفتخر به. لأن هذا البلد كما سماه كيسينجار الامريكى بأنه "سلة قعر" (Bottomless Basket) وهو الآن تقدم ليكون دولة نامية. فإن النمو الإجمالى الآن ٧٫٥ في المأية. ومن حيث ذلك بلدنا الآن من البلاد الثلاثة أكثر نموًا في العالم. كان الدخل الإجمالى للفرد في بلدنا ستمائة دولار فقط. وأمَّا الآن فهو ألفان وستمائة دولار أمريكي. والعالم يعتبر بنغلاديش نموذجاً للتنمية. فإن النجاح في إزالة الفقر ومحو الأميه كان نجاحًا مرموقا. فلمسات التنمية في كل مكان. حسبك جسر "بودَّا" (جسر على نهر كبير Padma) الذى هو مشروع كبير جدا وبعد المماطلة من جانب البنك العالمى فخامة رئيسة الوزراء شيخ حسينة اتخذت القرار لبناء الجسر (طوله ٦٫١٥ كيلومترات) على حساب بنغلاديش وقد افتتح الجسر في يونيو ٢٠٢٢م ولله الحمد.

ففى حساب الدخل من التصدير في عام ٢٠١٨–١٩م كان ٤٠ بليون دولار أمريكى. (المؤمن ٢٠٢٠، ١٤٧) وهكذا يحصل البلد على العملات الأجنبية من المغتربين البنغلاديشيين. وعددهم قرابة ١٦٠ مليون. ففى قطاع الصحة والتعليم وفي جميع القطاعت حصلت تنمية كبيرة. حسبك أن تدرك الإقتدار الاقتصادى والاحساس الإنساني عندما قامت بنغلاديش. ولا تزال على توفير النفقات لأكثر من مليون بورمى اللّذين لجئوا إلى بنغلاديش مضطهدين على أيدى الطغاة من ميانمار والبوذيين المتعصبين.

وفي ناحية التطور في حقل التعليم ففي بنغلاديش الآن حوالى ٢٠٠ جامعة حكومية وخاصة. تجد في المدن مبانى ناطحات السحاب. وهناك برنامج لمنح بيت سكن لكل من ليست له دار. وقد تم تمليك آلاف من البيوت للمساكين.

وإن حكومة شيخ حسينة كما تحافظ على التعايش المسالم بين أفراد الأديان وهكذا اعتبرت أغلبية الشعب حيث ٩٢٪ منه مسلمون. ولذلك أسَّست جامعة باسم "الجامعة الاسلامية العربية" في داكا. وقامت حكومة شيخ حسينة بتأسيس مجمع المسجد ومركز الثقافة الاسلامية. فهناك ٥٦٤ مسجد نموذجى مع نشاطات الثقافة الإسلامية. وذلك في كل محافظة وشبه المحافظة عبر البلد. (أفضل ٢٠١٧، ٦) وبالإضافة إلى ذلك استخدم ثلاثمأة وخمسين الف مسجد في البلد ليكون كُتَّابا صباحياً للأطفال حتى يشمل جميع أبناء الوطن في التعليم العام والتعليم الأساسى حول الدين.

ولا يفوت بنا أن نذكر أن رئيسة الوزراء شيخ حسينة تعتبر رايدة عالمية لقضية البيئة والإدارة في الكوارث الطبيعية. فعندما تتلقى رئيسة الوزاراء إشادة العالم فإنها لما حصل البلد من التنمية في الداخل والعلاقة الودّية في الخارج. فالمؤشرات للتنمية كلها إلى الفوق وبعضها في التفوق بين العالم. "فحسب تقرير المنبر الاقتصادى العالمى (WEF) تفوَّقت بنغلاديش على الهند ٢٨ مرّةً وعلى الباكستان ١٣ مرّةً". (المؤمن ٢٠٢٠، ١٤٨)

وإرسال القمر الصناعى في الفضاء، باسم بنغوبندهو خير شاهد لتنمية بنغلاديش في مجال العلوم وبالأخص في البرامج الديجيتالية. فان بنغلاديش نجحت في تعميم برامج الديجيتال (ماركة شعبية). وفي ناحية أخرى في قطاع الملابس الجاهزة وتصديرها فإن بنغلاديش الآن "براند محبوب" (Popular Brand) لدى زبائن العالم. ومن المعروف، تنمية وتطوير الأرياف بل جميع أنحاء البلد هو المعيار لتقييم وضع بلد. فإن قرى بنغلاديش تتمتع بكل تسهيلات للمعيشة الحسنة.

لانقدر أن نحصى نجاح الحكومة أو نتيجة الاستقلال مترامية الأطراف في مقالة وجيزة، غير أننا نقدِّر الموقف بأن المؤسِّس الأب بنغوبندهو بدأ برحلة وهى الآن في منظر جميل. "فإن في الخُطَّةُ الخمسية الأولى أكَّد بنغوبندهو على إصلاحات النظام الأرضي و تشكيل جمعية للمزارعين الصغار ولأفراد لايملكون الأراضى وعلى خصخصة المصانع والاهتمام بالمصانع الصغيرة واليدوية وعلى حفاظ حقوق المستهلكين بتوفير البضائع اليومية بأسعار محددة وعلى تدريب العمال وهكذا كان بنغوبندهو مصمِّما على إزالة الفساد في الإدارات الرسمية وعلى قمع المجرمين في المجتمع. (سركار ٢٠٢١، ٢/٢٣٥)

أهم الأحداث في الفترة : ١٩٧٥-١٩٨١م:

من واقعية التاريخ أن الزمان يسجل في صفحة بلدٍ خيره وشره. فالإغتيال الموسف الذي حدث في١٥ أغسطس عام ١٩٧٥م غيّر سير التقدم وإعادة التوطين في بلد مدمّر بالحرب الغاشمة. وتلسط على الحكم غدرة من الحزب الحاكم وعلى رأسهم خوندوكار مشتاق الذى كان طماعا للرياسة، فتمثل كلعبة على أيدي الضباط الذين قتلوا أبا الشعب شيخ مجيب الرحمن. وحصلوا على العفو العام قانونياً منه ليكونوا برءاؤا الذمة من تلك الجريمة الكبري. فقد سار البلد من تلك الأيام في خط عشواء حينما كان الشعب مرتبكين بالحادثة الأليمة غير متوقعة.

في غضون عام ١٩٧٧م تسلط على الحكم جنرال ضياء الرحمن الذى كان بصدد تأكيد الأمن لأولئك القتلة وتأهيلهم في مراكز القوة. مع ذلك حصل البلد على بعض الأشاء التى كان البلد في انتظارها.

فمثلا اعترفت دول الخليخ العربي ببنغلاديش كدولة مستقلة ومنها كانت المملكة العربية السعودية. ومن هذا المنطلق، انفتحت أبواب تلك الدول الثرية أمام المغتربين البنغلاديشيين حيث استمد الإقتصاد من أجورهم.

وكانت في تلك الفترة حادثة لاتتجاهل. وهى مشكلة اللاجئين المسلمين الذين اضطهدوا في بورما (ميانمار) فكان تدفق للمهاجرين منها إلى بنغلاديش. ومأيات الألوف من اللاجئين أثَّروا على إقتصاد البلد تأثيرا سلبيا. غير أن الحكومة نجحت في أرجاعهم إلى أرضهم خلال المناقشات والتفاهم السياسى. وكلنا نعرف ماذا تواجه بنغلاديش الآن من مشكلة روهينجيا في بنغلاديش ويتراوح عددهم من مليون إلى مليون وربع. ورئيسة الوزراء شيخ حسينة هى التى تحافظهم بالأمن والغذاء وبتوفير كل حاجاتهم. وذلك لقبت شيخ حسينة بأم الإنسانية. ولو أن هذا حمل ثقيل على أكتافنا. يا ليت يعلم إخواننا في العالم وبالأخص العالم الإسلامي.

نعم، هذه المرة ليست كالسابقة، إذ أن حكام ميانمار راحوا أشد بكثير في الإضتهاد والعنف اللاإنساني على مواطنهم الروهينجيين.

وبما نحن مسيرنا في خمسين سنة للإستقلال لايمكن لنا أن نغض الطرف من الفترة ١٩٨١ إلى ١٩٩١م. فإن بعد أن قتل الرئيس ضياء الرحمن جاء في الحكومة الجنرال حسين محمد إرشاد الذى حكم البلد طول ٩ سنوات. وله جوانب مظلمة، حيث يقال له المستبد، غير أن له بعض القرارات الإيجابية منها القرار لإرسال الفريق من الجيش البنغلاديشي إلى المملكة العربية السعودية لحمايتها أمام الغزو الغاشم من صدام حسين على دولة الكويت. فهذا القرار عزّز الروابط بين دول الخليج وبالخصوص الكويت والمملكة العربية السعودية.

وهكذا في ذلك العهد بعض المشاريع لتنمية البلد في حقل المواصلات. فإنه شق طرقا في العاصمة والمدن الكبيرة وبنى جسورا مثل جسر ميغنا وجسر داؤدكاندهى على نهر ميغنا في مكانين مما ودّع العبّارات فيها. والجدير بالذكر أنه أول من أنجز مشاريع الجسور على الأنهار. وهو الذى أقدم على بناء جسر طويل على صدر نهار زمونا. ولو أنه لم يحلف حظه ليكمل بل أنجزته الحكومة التالية إلى حد كبير ثم واصلت المشروع حكومة شيخ حسينة بكامله على وجه حسن. وافتتحت في عام ١٩٩٨م. وكان لرئيس إرشاد فضل تعديل الهيكل الإداري للمحافظة وشبه المحافظات الذى قرب إدارات حكومية والمحاكم عند باب العوام وهذا التعديل كان ناجحا. ولذلك تركه حكام الذين جاءو بعده على مكانه.

وإنه وضع في مقدمة دستور البلد بأن الإسلام هو دين الدولة. وبالفعل لم يغيره أحد ممن جاء بعده.

ولايفوت بنا أن نذكر أن المصانع وبالخصوص مصانع الملابس الجاهزة تلقت رعايته المرموقة. وهذا الرجل واجه فيضانات مدمرة في البلد ولذلك بنى سدودا للحفاظ على المدن والقرى. وإنه أكد لتنمية الأرياف كثيرا وكانت له نتائج ايجابية.

ولكن هو الآخر كان غير مالوف لدى الشعب لكونه مستبدا. فإنه شكل حزبا سياسيا كما شكل الرئيس قبله حزبا سياسيا. غير أن هذه الأحزاب انبثقت من المعسكرات وكان مزيجا لمختلف الأفكار من الناس. ولذلك انهزم أمام السيل الجارف لمطالبي الديمقراطية في عام ١٩٩١م.

ثم جاء عهد خالدة ضياء في عام ١٩٩١ إلى ١٩٩٦م، وإنها ترأست حكومة ائتلافية لأربعة أحزاب. وبما أن الحكومة كانت مكونة بعناصر لديهم أهداف مختلفة فلم تقدر هذه الحكومة لإستعراض أية عجوبة. مع ذلك في هذه الفترة حدثت بعض الأشياء مما ساند لمواكبة التنمية في بعض القطاعات. فمثلا الاتفاقية مع الكويت في عام ١٩٩١م حول تجنيد أفراد الجيش البنغلاديشي في الكويت على الانتداب. وهذه الاتفاقية مهدت الطريق اتفاقيات أخرى لجلب الأيدى العاملة من بنغلاديش وأكثرها تستمر حتى الآن. وكانت الإتفاقيات مصادر لكسب العملات الأجنبية.

وفي هذه الفترة كانت محاولة لمحو الأمية، فاتخذت الحكومة مشاريع لهذا الغرض. ومنها مراكز تعليم الأطفال والمسنين الموالية للمساجد، وهذا يستمر حتى الآن، وفي هذه الفترة أعلنت الحكومة التعليم المجاني للطالبات حتى مستوى الثانوية مما سهل تعليم النساء في البلد.

وكان باعتبار الحكومة إزالة الفقر ولكن لم تنجح حسب المرام. نعم، قطاع الملابس الجاهزة كان في عين الاعتبار في كل عهد وكانت محاولات للاكتفاء الذاتى في مجالات شتى، غير أنه لم تكن حسب الهدف المنشود.

يقول المؤرخون ورجال التحليل السياسي بأن كل ما حصلت بنغلاديش من التقدم خلال خمسين سنة كان نتيجة الإستقلال. صحيح، أن البلد كان ينبغى أن يتقدم مثل عهد شيخ حسينة التى انجزت مشاريع جبارة وأصبحت الدولة من الدول النامية، غير أنه لاتتجاهل فضائل الإستقلال قط.

كان زمان، كنَّا نتعجب بتنمية سريعة لماليزية ونفتخر بمهاتير محمد كبطل آسوى. أما الأن فالعالم ينظر إلينا بنظرة الدهشة والإعجاب لما حصلنا من التطور والتنمية بسرعة هائلة. ويرغب زعماء العالم في قيادة شيخ حسينة بكل عجب وبروح التعلُّم. وفي الحقيقة هذا الجيل يتمتع بحلاوة الاستقلال وبعزة واحترام من العالم.

هذه هى البنغال الذهبية التى كان يحلمها بنغوبندهو و زعماء الاستقلال في ١٩٤٧م وفي ١٩٧١م. فجزاهم الله خير الجزاء وعاشت رئيسة الوزراء وعاشت بنغلاديش تسجيلا للانجازات القيمة على جبين التاريخ، فلم تكن الطموحات أضغاث أحلام بل هى قد تحققت إلى حد كبير على يد شيخ حسينة ولذلك قال أحد الصحفيين البارزين ومسجِّل التاريخ: "شيخ حسينة قد تقدمت من بنغوبندهو في قوّتها العملية والمؤهلات". وتقول كاتبة ومفكرة بنغالية استشهادًا على صدق هذه الملاحظة: "ماذا يعنى هذا القول (الذى قاله عبد الغفّار شودرى)؟ كل ما حصلت شيخ حسينة من الألقاب والجوائز والتوقير كلها من الدول التى يرأسها ويدير عليها الرجال... ويعنى ذلك أن المقياس لتقييمها ليس أخف من مقياس الرجال".(فريده ٢٠٢١، ١٩١)

إذا نبحث عن المكانة الحالية لبلدنا الحبيب بنغلاديش فلا بد من استعراض تلك الانجازات التى قامت بها شيخ حسينة التى الآن على رأس الحكومة والتى تقود البلد من ٢٠٠٧م إلى الآن وقد سبق أن كانت رئيسة الوزراء لخمس سنوات بعد أن فازت في انتخاب ١٩٩٦م أيضا.

"ففى ١٦ ديسمبر ١٩٩٦م تم الاتفاقية بين بنغلاديش والهند حول تقسيم المياه لنهر غونج (النهر الذى يسمىّ في بنغلاديش بودّا) وكانت الاتفاقية لثلاثين سنة. وفي ٢ ديسمبر ١٩٩٧م تمت الاتفاقية بين الجبهة الجبلية (جمعية التضامن الشعبي لشيتاغونغ الجبلية) واللجنة الوطنية حول قضايا شيتاغونغ الجبلية (٣ محافظات). لأنهم القبائل المتميزة بلغتهم المستقلة والثقافة الخاصة والطبع الانتروبلوجى مستقل. ولفرض السلام في تلك المناطق كانت لهذه الإتفاقية أهمية تاريخية.

وفي ١٤ مارس ٢٠١٤م فازت بنغلاديش في قضية تحديد الحدود البحرية لبنغلاديش مع ميانمار بعد أن أعلنت المحكمة الدولية رأيها لصالح بنغلاديش وكانت هى المساحة الكبيرة تعادل مساحة البر تقريبا. فهذا الرأى أعطت بنغلاديش سيادة اقتصادية وهى مع ثرواتها وتسهيلاتها وبعد ذلك حصلت على رأى تاريخى مع الحدود الهندية في البحر أيضا فيما بعد. وكانت لمعالي الوزيرة للشؤن الخارجية الدكتور ديفومونى محاولات وخطوات حكيمة تحت قيادة رئيسة الوزراء شيخ حسينة. وفي ١٨ أغسطس ٢٠١٣م نجحت بنغلاديش في اكتشاف رموز الحياة الجينية للجوته. وكان هذا تقدماً مرموقا في البحوث العلمية– وجاءت البشارة على لسان رئيسة الوزراء شيخ حسينة.

وفي ٢ أكتوبر ٢٠١٢م افتتحت شيخ حسينة أول مركز للكهرباء الذرية في إيشُّوردى (محافظة بابنا). وقد تقدمت أعمالها ويتوقع افتتاحها في غضون نهاية عام ٢٠٢٢م، إن شاء الله تعالى.

كما أفاد الخبراء أن حرب روسيا مع أوكرانيا لاتؤثر على إنجاز هذا المشروع. وعلما أن الحكومة قبل حكومة شيخ حسينة فشلت في قطاع الكهرباء فشلا مما كان من عوامل تخلف البلد. ولكن الآن غطّت الحكومة ٩٥٪ من المواطنين حتى الساكنين في الجزر المنعزلة والأرياف الجبلية النائية بل أن بنغلاديش معتمدة بالذات في الكهرباء. وبعد انجاز مشروع الكهرباء الذرية يمكننا التصدير والاستهلاك المتزايد و المستقبل تكون في الأمن.

وسبق أن ذكرنا "جسر بودّا" وهو أحد المشاريع الجبَّارة الهائلة (Mega Project). بل أكبر المشاريع تكلفة قد تحقق في النهاية. وفي ٢٠ يونيو ٢٠١٦م تم تبادل تلك الأراضى الحدودية بين بنغلاديش والهند بحيث زالت عراقيل جغرافية لكونها مساحه صغيرة داخل الحدود وكانت مثل هذه الجيوب المقاطعة (ছিটমহল) بعدد ١١١ في داخل الهند و ٥١ في داخل بنغلاديش. فقام رئيس الوزراء للبلدين بالتبادل– وكان هذا في صالح بنغلاديش أكثر. وسهَّل هذا الأمر عقدٌ قد وقّع عليه كل من بنغوبندهو شيخ مجيب وايندرا غاندى ذاك الوقت.

وفي ناحية التعليم قامت الحكومة توزيع الكتب المقررة الجديدة لجميع الطلاب في المدارس وتمنح منحة دراسة لـ ٢٥ مليون طالب وطالبة في كل سنة. وتم التأميم لـ ٢٦١٩٣ مدرسة ابتدائية و ٢٢٥ مدرسة ثانوية و ثانوية عالية وتصرف فيها جميع المتطلبات من الحكومة. وتم تشكيل تروست لحماية التعليم.

وجدنا رئيسة الوزراء شيخ حسينة مشجِّعةَ التعليم مثل أبيها الفذّ فإنها قامت بتأليف سياسة التعليم للبلد الذى يهدف إلى توسعة نطاق التعليم مع الحفاظ على الجودة. أكّدت على تعليم فنّي ومهني ليكون مصدراً لرزقهم وأكدت على البحث في مجال العلوم والتكنولوجيا. فسياستها غطت الأطفال الأكِفَّاء والمعوّقين أيضا. فإنها وافقت على الجامعات الخاصة وأسست جامعات في القطاع الحكومي وتنوعت المعاهد في المهن والتجارب من شتى العلوم والتكنولوجيا. وتشجّع على البحوث العلمية ابتداءً من الزراعة إلى الأقمار الصناعية. فمثلا جامعة النسيج هى تلائم لحاجة البلد الذى أكبر دخله من الملابس الجاهزة. وقد تم بناء مبانى جديدة للمدارس عددها أكثر من ١٠ آلاف وتم ترميم اكثر من خمسة آلاف مدرسة وهناك جوانب أخرى لتنمية التعليم. (نهيد ٢٠١٨، ٢٦)

وخلال عشر سنين ماضية اتخذت الحكومة كثيرا من القرارات للحفاظ على الحقوق الأساسية للأطفال وانشأت مراكز الرفاهية للأطفال وبقطاع الصحة ١٦٧٧٩ مركز الصحة في مستوى القرية وتم ترقية ٣١٦ مركز الصحة في شبه المحافظة إلى خمسين سريرا مع إقامة معاهد متخصصة مثل معهد لأمراض القلب، والكلية، وسرطان ونيورو والعين وأسست حكومة بنغلاديش مراكز لتدريب الممرضات. وتم تعيين ٢٠١٠٤ طبيب وأكثر من مائة ألف ممرضة خلال السنة الماضية فقط. وبالمناسبة نذكر أن قيادة شيخ حسينة كانت وسيلة كبيرة بعد فضل الله سبحانه وتعالى في مواجهة أمواج الموت التي سببتها الجائحة المستجدة التّاجية (Covid-19) فكانت الإصابة والموت أقل بكثير بالنسبة إلى حالات في كثير من البلاد. فإنها اتخذت قرارات حكيمة في وقتها. وبالتالى تحسنت الإدارة الصحية وتم توفير الأطباء والممرضات والأدوية للعلاج والوقاية من هذا الطاعون. وفي نفس الوقت كان النمو الإجمالى في البلد في حدود ٧٪ كما كان في الأوضاع قبل كوفيد ولله الحمد.

وفي كلمة واحدة، ما تجاهلت الحكومة أى قطاع بل لمست جميع القطاعات بالتنمية والتطوير فقيادة بلد لـ ١٧٠ مليون نسمة أمر كبير وهذا في نفس الوقت سوق كبيرة للمستهلكين ولذلك هنا فرصة كبيرة.(سعيد، ٢٠٢٠، ٤٢–٤٨)

الاختتام

أخيرا، يمكن لنا أن نقول بكل فخر، أن الاستقلال الغالى الذى حصلنا عليه بقيادة مقتدرة لابى الشعب شيخ مجيب الرحمن هو، في الحقيقة، مهد طريقنا إلى الرقيّ والتنمية والازدهار كشعب متميز باسل على مرّ الزمان، وفعلا تمكّننا من الترقية إلى صف الدول النامية ونبذنا وراءنا الفقر والتخلُّف والتخيُّب بالأمل بقيادة رشيدة لبنت بنغوبندو رئيسة الوزراء شيخ حسينة على رأس خمسين سنة للاستقلال. ونحن في وضع محترم الآن. ولله الحمد– فنحن كشعب ناضلنا ونحن كشعب نتمتع بالحرية سياسيةً واقتصادية ودينية، ربنا يوفقنا أن نستظل تحت هذه القيادة القوية ويعيش هذا الشعب العظيم بعيشة راضية– آمين.

قائمة المصادر والمراجع

مجيب الرحمن، شيخ. ٢٠١٦م. سيرة ذاتية لم تكتمل مترجم محمد ديباجه محرر الدكتور عبد الله المعروف. ط١. داكا: تروست ذكرى ابى الشعب بنغوبندهو شيخ مجيب الرحمن.

سركار، منعم (محرر). بنغوبندهو شيخ مجيب الرحمن: حياته والسياسية. ٢٠٢١م. ط٣. داكا: بنغلا إكاديمي. ج١، ص ٣٦١.

الرحمن، محمود. ٢٠١٩م. "كافتارية مدهو: مولد حركة الحرية الموالية لجامعة داكا". مجلة مركز البحوث للعلوم الإنسانية العالية.

فضل الحق، أبو القاسم. ٢٠١٩م . حركتنا للغة الدولة ويوم لغة الأمّ الدولى ليونسكو. داكا: أسياتيك سوسايتى، بنغلاديش.

حسن، حفيظ الرحمن (محررا)، حرب استقلال بنغلاديش. ١٩٨٢م. الشواهد ج٢. داكا: بنغلا إكاديمي.

الرشيد، هارون. ٢٠١٩م. دعوانا للحياة، الدفعات الست قبل خمسين سنة. ط٢. داكا: بنغلا أكاديمى.

المؤمن، إى كي عبد (وزير الخارجية لحكومة بنغلاديش الحالي). ٢٠٢٠م. من بنغوبندو إلى شيخ حسينة، فكرة التنمية بنغلاديش ودبلوماستينا. داكا: أونيشا بركاشن.

أفضل، شميم محمد. ٢٠١٧م. ط١. إبداعات شيخ حسينة . داكا: المؤسسة الإسلامية بنغلاديش.

نهيد، نور الإسلام. ٢٠١٧م. العصر الجديد للتنمية لـ ٢٠٠٩–٢٠١٨م. داكا: وزارة المعارف بنغلاديش.

سعيد، شمس. ٢٠٢٠م. "شيخ حسينة في مسارها للتقدم الجارف، اغروفتيك". مجلة شهرية (سبتمبر ٢٠٢٠م). داكا:المؤسسة الإسلامية.

The Daily Ittefaq, April 09, 1966